

رَوَائِعُ ثَرَاثِ الزَّيْرِيةِ

مِنْ سِيَرَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ
يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ

لِلإِمَامِ (الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ) الْقَدِيمِ يَحْيَى بْنِ (الْحُسَيْنِ) بْنِ
(الْقَاسِمِ) بْنِ (إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (٢٤٥ - ٢٩٨ هـ)

مُنْتَزَعٌ مِنْ مَجْمُوعِ كُتُبِهِ وَرِسَائِلِهِ

تَحْقِيقُ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاذَلِي

تَقْرِيمُ (السَّيْرِ) (الثَّلَاثَةِ) (الْمُجْتَمِعِ) (أَبِي) (الْحُسَيْنِ) (مَجْرٍ) (الرَّيِّ)
بْنِ مُحَمَّدٍ بِنِ مَنصُورٍ (الرُّؤْيَرِيِّ) (أَيُّدُهُ) (اللَّهُ) (تَعَالَى)

مُؤَسَّسَةُ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ الثَّقَافِيَّةِ

من سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الانهزام بسبب المعاصي

روى أصحاب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين رضي الله عنه:
أن آخر حروبه كان بنجران، وأنه كان ذات يوم عليلًا من علته التي توفي فيها، وأن العدو ابتدروا لحيل الهادي إلى الحصن، وخرجت خيل الهادي وكان مريضاً فلم يخرج، فلما تراءت الخيلان كانت الحملة على أصحاب الهادي، فولوا مدبرين، وقتل رجل من أصحاب الهادي يقال له يوسف بن أبي حرب العنسي، وكان راجلاً، وهو آخر شهيد استشهد من أصحابه، ولم يكن للهادي بعد ذلك قتال حتى توفي رضي الله عنه. فلما أتى بيوسف قتيلاً، خرج الهادي من منزله إلى أصحابه حين اهتزموا فوبخهم، وقال: حين تخلفت منكم ساعة واحدة وجد العدو فيكم مدخلاً، ولم تعطفوا على أخيكم يوسف حين خرج معكم فتستنقذوه من يد العدو، أما إنكم لو كنتم على حقيقة ما فعلتم هذا الفعل، ولقد فسدت قلوبكم ولن تروا بعدي إماماً تقاتلون معه مثلي حيناً من الدهر، هذه ثمرة فساد قلوبكم، وفساد النيات وإظهار الملالاة للجهاد، وضعف اليقين، وهذا فعل من باء بسخط من الله في تولية الأدبار بغير عذر ولا إبلاء في العدو.

قالوا: ثم وقع علينا الذنب بما فعلنا، وكثر احتجاجه علينا وتوبيخه لنا، حتى جددنا البيعة له، وأعطيناه الصفقة، وصححنا التوبة.

ثم قال: اعلّموا أنه ما نكص قوم على أعقابهم إلا بمعصية فيهم لله عز وجل.
وأنشأ يحدثنا عن حرب موسى بن عمران النبي صلى الله عليه بأحاديث عجيبة، فكان

مما حفظنا عنه أنه قال: إن رجلاً كان يقال له بلعام بن باعورا الحوباني، وكان عالماً بالغا في العلم، قد قرأ الصحف الاولى، وكان معه أسماء الله تعالى وكان يدعو بها^(٥٣٨) بنية فتجابه دعوته، وكانت بنوا إسرائيل قد عظمت، وذلك في زمان موسى عليه السلام وجعلوه لهم ربانياً، وجبوا إليه. فكانوا إذا قحطوا أو نالهم مكروه أتوه، فدعا لهم بأسماء الله سبحانه فتجابه دعوته، وذلك قبل موسى، فلما أدرك نبوة موسى وسمع خبره أدركه الحسد والنكد؛ فقال: هذا يزيح مرتبتي وراثستي. فأتاه العدو فقالوا له: ادع لنا على موسى بن عمران. فأجابهم إلى ذلك، فلما ركب أتاناً له يريد أن يدعو لهم عليه بمكان مجتمعهم كلمته الأتان، فقالت: أتدعو على نبي الله؟! إنك من الغاوين. فرجع وقال: لست أدعو عليه، ولكنني أحتال لكم عليه وعلى أصحابه بحيلة يكون الظفر لكم عليهم والغلب. أشير عليكم أن تهادنوه وتعدوه أن تطيعوه وتسلموا له، فإذا فعلتم ذلك أرسلتم النساء البغايا إلى عسكره متزينات متعطرات، كأنهن يبايعن ويشارين في عسكره، فإن عسكره يصيبون المعاصي ويفسد إيمانهم بمواقعتهم المعاصي، فيرفع عنهم النصر، ويستحقون بالمعصية الخذلان، ولا تثبت أقدامهم عند اللقاء فيهتزمون عنكم. ففعلوا ما أمرهم به حتى نفذت حيلته ومكره فيهم، ونسي ما وعظ به، وأدركه الحسد والبغي الرجاع عليه وباله.

ثم إن موسى عليه السلام قاتل ثلاثة أيام بعد انقضاء الهدنة، ومباينتهم له وبدوهم بالحرب لما نفذت مكيدتهم، فكل ما لقي أصحاب موسى العدو لم تثبت أقدامهم وانهد جيشهم؛ فيصيح موسى: عطا! فلا يعطف أحد. فأقام ثلاثاً على هذا الحال، ثم قال: أنا نبي الله وكليمه لقد عصيت، وهبط إليّ الوحي: أن اتت خباء من أخبية أصحابك فانظر ما فيه. فلما أتى الخباء إذا فاسق على فاسقة، فطعنهما بحرته، فشكهما جميعاً وهما على قبيح فعلهما، ورفعهما وصاح، وكان صيِّتاً شديداً القلب، شديد القوة: يا بني إسرائيل هذا الفعل الذي يقلبكم على أعقابكم عند القتال^(٥٣٩)، وشالهما حتى نظر

(٥٣٨) زيادة من (ج).

(٥٣٩) في (ج): اللقاء.

من سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ٥٤١

العسكر اليهما وهو يهزهما، وهو حديد عجل الكلام قد أزيد على بني إسرائيل أسفاً وغيظاً وغيره على من عصى الله، وشدة في ذات الله عز وجل، فلما رأت ذلك بنوا إسرائيل اجتمعوا إليه وقالوا: نحدد البيعة، والعهد لله، ونصح التوبة. فاصطفوا للصلاة والدعاء، وبسط نبي الله كساه، وكان لهم دليلاً على قبول توبتهم أن تجتمع فيه ألوان شتى، فيعلمون أن قد قبلت توبتهم.

في سحر يوم الجمعة عند انفلاق الفجر أمر موسى بالبوق فنفخ، وهو أول من أحدث أبواق الصفر؛ وذلك أن عساكره شكوا إليه أنهم لا يشعرون بحركته فألهمه الله لأبواق الصفر، وقيل والجبابج^(٥٤٠) أيضاً، ثم سار موسى صلى الله عليه بهم واصطفوا بعد التوبة للقتال فثبتت أقدامهم، وانقلب العدو على أعقابهم مدبرين، فمنح الله أكتافهم، وغلب جند الله كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣]. فلما دخل عليه السلام القرية انبعث إليه بلعام بن باعورا وهو دالّع لسانه، قد ختم على فيه من الكلام وهو يلهث كما يلهث الكلب، والخلائق ينظرون كيف غير أمر الله فغير الله به. فأقام عبرة ومنظرة للعالمين أياماً على حاله، ثم قضى عليه الموت فذكر الله ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿وَإِنَّا عَلَيْنَا نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهْ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال القوم: فعلمنا أن الهادي رحمة الله عليه قد أركن^(٥٤١) أن انقلابنا على أعقابنا تلك العشية كان لسوء فعلنا.

(٥٤٠) الطبل.

(٥٤١) الزكن: ظن بمنزله اليقين عندك، أو طرف من الظن. القاموس.

من سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ٥٤٢

وصف لسيرة الهادي عليه السلام

وحدثنا محمد بن سعيد البرسمي^(٥٤٢) وزير الهادي رحمه الله عليه قال:

ولما نزل الهادي صعدة كان محله في دار الإمارة، فكان يصلي بالناس الصلوات الخمس بالجماعة لا يقطع ذلك ليلاً ولا نهاراً، ويجلس ما بين الصلاتين، فيعظ الناس ويعلمهم فرائض الدين، وفرائض الموراث، ويتحاكمون إليه، ويبين لهم ما يحتاجون إليه. ثم ينهض فيدور في الأسواق والسكك ونحن معه. فإذا رأى جداراً مائلاً أمر أهله بالإصلاح له، أو طريقاً وعثاً أمر بتنقيته، أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه بالليل للمار والسالك إلى المساجد. وإن رأى امرأة أمرها بالحجاب، فإن كانت من القواعد أمرها بالستر، وهو أحدث للنساء البراقع باليمن وأمرهن بذلك.

وكان يقف على كل أهل بضاعة فيأمرهم أن لا يغشوا بضائعهم، ويأمرهم بتنقيتها من الغش وتفصيل ما يبيعون، وإيفاء ما يسمون.

فقالوا له أليس التسعير حراماً؟

فقال: أوليس الغش حراماً، والظلم كذلك؟

قالوا: بلى.

قال: فإنما نهي عن التسعير على أهل التقى، وأهل العفة، فإذا ظهرت الظلمات والنجش^(٥٤٣) في البيوع والنقص وجب على أولياء الله سبحانه أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق في مواضعه، ويزيحوا الباطل عن مكانه ويأخذوا على يد الظالم عن ظلمة.

(٥٤٢) محمد بن سعيد البرسمي، كان فاضلاً ناسكاً مجاهداً، صحب الإمام الهادي عليه السلام وكان من زعماء أصحابه الكرام ووجههم، وأحد مستشاري الإمام أحمد الناصر بن الإمام الهادي عليه السلام.

(٥٤٣) النجش: قال في اللسان: قال أبو عبيد: هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكنه ليسمعه غيره فيزيد بزيادته، وهو الذي يروى فيه عن أبي الأوفى: الناجش أكل رباً خائناً.

من سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ٥٤٣

قال: وكان يقف على السحن ثم يدخله ويأمر بتنقيته، ويأمر من كان فيه قارئاً أن يعلم من كان فيه لا يقرأ، ويسألهم عن قصصهم وفيهم حُسُوا. فمن كان محبوباً في دين نظر في جدته وإفلاسه، ومن كان مذنباً تفقد جرمه وأمره، ويفحص عن أحوالهم ثم يرجع وقد أمر ونهى في جميع المصر. فأقام على ذلك أشهراً ما يفتر عن مواعظه، وصدقاته، وعيادته للمرضى، وتبنيه للقلوب، ودعائه إلى الله عز وجل في السر والعلانية، حتى إن أهل الفسوق والظلم طمعوا فيه لما رأوا من ابتذاله نفسه في ناديهم وبين منازلهم، وفي خروجه بالأسحار إلى المسجد. فتبايع فساق على إصابته غيلة فلم يجسروا عليه، فاشتوروا أن يقتعدوا له في صومعة المسجد، وكان ذلك رأيهم، فلما خرج صلى الله عليه عجلوا فرموه قبل دخوله المسجد وأخطأه السهم الأول، وقد دخلت رجله المسجد، واندفع بكله فولج باب المسجد فأصيب الباب بالنبل، ووقع في كساء كان عليه سهمان، وسلمه الله. فسكت حتى صلى بالناس وأسفر، ثم أخبرهم فخرجوا فالتقطوا النبل من باب المسجد، ثم قال:

اللهم إني أملت أن أسير فيهم بسيرة الاختلاط بهم، وأن أصلا بنفسي ولاية أمرهم حتى أكون فيهم كأحدهم، لا أحتجب عنهم، ولا أغيب شخصي عن محاضرتهم، ولا أترك صلاة بهم، ولا أكلهم إلى غيري، فبدأوا بالمكيدة، وأرادوا النفس بالقتل وإني ضارب الحجاب، ومحترز منهم حتى يحكم الله بيني وبينهم.

وحدثني محمد بن سعيد أيضاً قال: رأيته يفت الطعام للأيتام بيده ويشرده بالسمن، ثم يقول: أدخلوهم. ثم ينظر فمن كان منهم ضعيف المأكَل قال: هذا مغبون. فيأكل مع المساكين ثم يعزل له، وكان لا يأكل طعاماً حتى يطعم المساكين منه، ثم يأكله بعد ذلك.

قال: وكان يأمر صاحب بيت مال المسلمين أن يطعم المساكين والزمنى^(٥٤٤) عشياً وغدياً على قدر قوتهم، وعلى قدر ما في بيت مالهم. وكان يأمر بالكسوة لهم في كل

(٥٤٤) الزمنى: جمع زمن، أي صاحب عاهة. انظر القاموس.

من سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ٥٤٤

وقت تخاط ثياب قد اشترت للرجال والصبيان والنساء، وكان يأمر في الشتاء من يتولى شراء الصوف، ويقول: إن لكل وقت كسوة، وإن لكل زمان لباساً.

قال: ورأيت يتفقد أهل الذمة ويقول: إن الحكم عليهم جار، وقد أوصى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم: ما أذاكم من شيء فأعلموني به، ومن اطلع على محرمكم أو تعرض لكم أحللت به ما أحل بنفسه، ومن نكث عهد الله وعهد رسوله. فكان لا يزال يُسلم منهم الواحد والاثنان، والمرأة والمرأتان لما يرون من عدله ورفقه. رحمة الله عليه ورضوانه، وصلواته على جده محمد وعلى آله الطيبين وسلم.



عهد الإمام الهادي عليه السلام لعماله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على النبي وعلى آله الطيبين، وسلم تسليمًا، هذا عهد عهده الإمام الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر بنسخته لجميع العمال الموجهين إلى جميع المخاليف نسخة واحدة، حجة عليهم بالغة، يتخلص بها من أقامها، ويهلك بها عند الله من خالفها، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]: أيها العمال قد استعملتكم على جباية أموال المسلمين، وما استعملتكم حتى سألت عنكم، وبحثت عن أموركم، فذكر لي منكم من الخير ما استجرت به الاستعانة بكم على ضم أموال الله تبارك وتعالى.

الأمر بتقوى الله وبالتواضع

فأول ما أوصي به نفسي وإياكم، وأمرها به وأمركم بتقوى الله عز وجل، والمخافة له في السر والعلانية. وأمركم أيها العمال بالتواضع لله، وترك الكبر على عباد الله، وأن تعرفوا أنفسكم وما منه خلقتكم، وما إليه تصيرون؛ وكل ما أراكم الله سبحانه محنة وخيراً ازددتم لله تواضعاً وشكراً، فإنكم إن فعلتم ذلك يحسن منقلبكم إلى خالقكم، وسلمتم غداً من عذاب ربكم.

الأمر بتعريف الرعية ما أوجب الله عليها

وأمركم من بعد ذلك بتعريف الرعية بحق الله، وتعليمها ما أوجب الله عليها من